القيم الإنسانية النبيلة في أشعار العرب قبل الإسلام

م. م. عبد علي عبيد علي الشمري
الكلية التربوية المفتوحة . مركز واسط

المدخل:

بدأت في الشرق القديم وقبل ما يزيد على خمسة آلاف سنة قبل ميلاد السيد المسيح ـ عليه السلام ـ أحدى مواطن الحضارة البشرية، وبنشوء هذه الحضارة وتطورها نشأت أعمال القهر والغصب وإخضاع الجماعة لرغبات فرد أو مجموعة أفراد باستخدام القوة والإكراه(١).

ومن هنا نشأت حاجة الإنسان الى نظام اجتماعي يفرق بين الغالب والمغلوب وبين الظالم والمظلوم، وبذلك كان لابد للإنسان أن يعلن رفضه للظلم والعبودية والطغيان والتجبر،ولا بد له أن يطالب بحقه إذا كان مسلوباً،و لا بد له أن يحدد موقفه من الرذيلة والسيئة، بعد أن يدعم الفضيلة.

ولم تخل المجتمعات الإنسانية من الشخصيات والجماعات التي تدعو إلى الفضيلة وحسن الخلق والتمسك بمكارم الأخلاق والدفاع عنها، ونبذ الرذيلة وهؤلاء هم سادة الأقوام، واخيارهم، والأدباء والشعراء، .

فكانوا يدعون إلى الامر بالمعروف، ويطالبون بموقف واضح في النهي عن المنكر، وهو موضوع البحث الذي سنتناوله من وجهة إنسانية، وكونها مطلباً إنسانياً ملحاً،سبق الدعوة الإسلامية وظهور نور الإسلام، وكانت من أولويات غاياته، وذلك على لسان الشعراء، واهل الرأي والمشورة،جاعلاً من المجتمع الجاهلي عينتةً . ثم سيحاول البحث بعد ذلك الوقوف عند النصوص القرآنية وبعض الأحاديث والمواقف التي بينت هذه الغاية وفصلتها في موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كونه خطاباً قرآنياً يدعو للتمسك بمكارم الاخلاق، وتغيير المجتمع الإنساني ـ بصرف النظر ـ عن هويته القومية بما يتناسب والقيمة الإنسانية والاجتماعية والاخلاقية التي يمثلها الانسان،على وفق مبدأ الاستخلاف الذي جاء به القرآن الكريم.،

اولاً:المعروف في اللغة، وفي الدلالة الاصطلاحية:

المعروف في اللغة من:

عرفه، يعرفه . معرفة، وعرفاناً،

والعرف:الريح طيبة كانت أم نتنةً

والمعروف:ضد المنكر،والعرف ضد النكر،والعرف من الاعتراف والمعروف:من التعريف:التطبيب. واولاه عرفاً:أي معروفاً،والعرف:الأحسان،قال تعالى:(والمرسلات عرفاً))(٢)والمعروف والعارفة:خلاف النكر. والمعروف:الجود،وقيل:هو اسم ما تبذله وتسديه

فيما يستحسن من الافعال(٣) والاقوال،وهو ايضاً النصفة وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس،قال تعالى((وصاحبهما في الدنيا معروفاً))(٤)وقال تعالى ((فمن عفى له من اخيه شيء فأتباع بالمعروف))(٥)والمعروف:الود،يقال للرجل إذا ولى عنك بوده:هاجت معارفه(٦)

المعروف في الاصطلاح:هو اسم جامع لكل ما عرف من صفات وأفعال الخير والأنصاف والاعتراف بحقوق الناس واحترامها، وهو ايضاً كل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب أليه الشرع، ونهى عنه من المحسنات والمقبحات وهو من الصفات الغالبة،أي امر معروف بين الناس(٧)

ثانياً:المنكر في اللغة وفي الدلالة الاصطلاحية:

المنكر في اللغة من:

النّكُرُ والتنكر:الامر الشديد، والنكارة:الدهاء والنكر:الفطنة ونكر الامر:صعب واشتد (٨)

والنكر (بالضم):الدهاء والامر المنكر

والنكرة:انكار الشيء، خلاف المعرفة.ونكر الامر نكيراً، وأنكره إنكارا ونكراً:جهله(٩).

قال الاعشى:(١٠)

وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشبيب والصلعا

والمنكر من الامر:خلاف المعروف،المنكر:هو الامر المكروه المستنكر،قال تعالى:((لقد جئت شيئاً نكراً)(١١)

وقال الاسود بن يعفر:(١٢)

اتوني فلم ارض ما بيتوا وكانوا اتوني بشيء نكر

والتنكر:التغير من حال المسرة الى حال الكره، أي من حال تسرنا إلى حال نكرهها، يقول اعصر بن سعد:(١٣)

قالت عميرة ما لرأسك بعدما نفد الشباب أتى بلون منكر

والنكير:اسم الانكار، ومعناه التنفير ايضاً،قال تعالى:((فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكيرِ)) (١٤) وهو تغيير النعمة بالنقمة.

والنكير والانكار:تغيير المنكر، والتناكر:التجاهل (١٥)

المنكر في الدلالة الاصطلاحية:من خلال تتبع دلالة اللفظة المعجمية نجد أن المنكر:اسم لكل ما عرف من صفات وأفعال الشر والسوء والدهاء (١٦) ، ومحاولة تغيير الشيء المعروف، والتجاهل للحقوق والتهاون في ادائها بنيات مبيتة .وهو بذلك يناقض في دلالته للمعروف ويقف بالضد منه.

وبما أن المعروف والامر به فضيلة من أعمال الخير، وان المنكر والعمل به، هو من الرذيلة، سيحاول البحث استجلاء تلك المواقف في المرحلة التي سبقت ظهور الاسلام، وكانت من ارهاصاتها، كون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلبان أنسانيان ملحانٍ، وعلى قدر كبير من الاهمية، وأن الاول احتياج أنساني اجتماعي نود الوقوف عنده من خلال أشعار العرب ومواقفهم في الجاهلية .

الامر بالمعروف والدعوة اليه مطلب أنساني:(المجتمع العربي في الجاهلية نموذجاً):

بدءاً لا بد أن نذكر أن الشعر اسبق الفنون اللفظية ظهوراً في المجتمع العربي الجاهلي، وهو اكثر الفنون الادبية تعبيراً واستجابة للظواهر الانسانية والاجتماعية والنفسية للسلوك البشري (١٧)وكون الشاعر فرد من المجتمع،وهو جزء لا يتجزأ منه، ويعبر من خلال شعره

وانفعالاته عن واقع المجتمع، وما يحس به، وذلك فأن هناك علاقة صميمة بين الشاعر ومجتمعه(١٨). وجاء في الموشح أن ((طريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء، وصفة الحمر والخيل والحروب فاذا ادخلته في باب الخير لان))(١٩)ويرى هيغل أن الشعر الغنائي الذي يمثل الذات الفردية الأنسانية في افراحها واحزانها، وآلامها وأحاسيسها ويتنوع بتنوع الحياة الانسانية، ويرتبط بجميع مظاهر الحياة القومية(٢٠). ويرى الدكتور إحسان عباس أن صفة ((اللين) التي يذكرها المرزباني تتعلق بالموضوعات المتصلة بالخير والدين (٢١) وذلك يعني في رأينا أن كل ما يتعلق بالخير والدين والاخلاق يلين ويتهذب لالتزامه بالقيم الانسانية النبيلة،ويظهر ذلك من خلال النصوص الشعرية التي سنعتمدها نموذجاً في هذه الدراسة التي يظهر فيها التزام الشاعر بالاخلاق التي يؤمن بها ويدافع عنها،وذلك من خلال الفضائل الاربع التي تحدث عنها النقاد استعارة من افلاطون وهي،العقل والشجاعة والعدل والعفة (٢٢) ويظهر من النصوص والابيات أن العوامل المحركة لالتزام الشاعر بتلك القيم تندرج ضمن دفاع الشاعر عن القيم الانسانية النبيلة، والحقوق المستلبة والتجاوز على حقوق الأخرين، كونها حاجة أنسانية ماسة في وقت يسيطر عليه مبدأ القوة ويسوده الشرك والعصبية القبلية،والشاعر الداعي الى الخير خير من يمثل الجماعة وحقوقهم والدفاع عن مكارم الاخلاق، وفاء للجماعة من جهة واحتراماً لموهبته من جهة أخرى. ذلك أن الشعر في العصر الجاهلي كما في غيره من العصور يقوم على الانفعال والتأثر(٢٣) فنجد الانسان العربي في جاهليته يستنكر الظلم، ويعاتب القائمين بذلك . ويصوره بوجه قبيح ملعون، يقول العباس بن مرداس السلمي:(٢٤)

أكليب مالك كل يوم ظالماً والظلم انكد وجهه ملعون

وهذا قيس بن مسعود البكري يوصي قومه بالتوحد في الله واقامة الصلح بينهم وترك العداوات الفردية، ليتوحدوا ضد اعدائهم، لاجل أقامة المعروف، وزجر الجاهلين، بعد أن حبسه كسرى،وأخذ يعبئ الجيوش لغزو بني بكر:(٢٥)

فاوصيهم بالله والصلح بينهم لينصأ معروف ويزجر جاهلُ

اما ذو الاصبع العدواني، فيشكو بمرارة وحسرة من موقف بعض ابناء عمومته السلبي تجاه دعوته للامر بالمعروف والاصلاح بين الناس،يقول:(٢٦)

اذا قلت معروفاً لاصلح بينهم يقول مرير لا احاول ذلكا

وزهير بن ابي سلمى ـ الشاعر الجاهلي المعروف ـ يخاطب الحارث بن عوف وهرم بن سنان بعد سعيهم في الصلح بين الحيين المتقاتلين، مبيناً أن السعي في ترسيخ السلم وشتى الوسائل يوحي إلى السلامة ونجاة الانسان من الشر،وهو يصب في باب الامر بالمعروف، وطلباً للسلامة من الاثم: (٢٧)

وقد قلتما أن ندرك السلم واسعاً بمال ومعروف من القول نسلم

وذلك يتماشى مع قوله تعالى:((قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى))(٢٨)

إذ بالكلام الحسن الجميل الذي لا قبح فيه تسود الالفة والمودة والوئام (٢٩)ونجد الشاعر الجاهلي قيس بن الخطيم يتذمر من الظلم، ويؤكد أن المعروف يورث أهله الخير، وان عصر السوء لا يسود فيه الا الاشرار، ويدعو إلى التزود بالاخلاق الحسنة.

وهو يعقد مقارنة بين الحق وعمل الخير وبين الباطل، ويقرر أن الباطل دائماً سيكون منهزماً امام الحق، وهذا بحد ذاته مطلب أنساني يؤكد على اهميته الشاعر الجاهلي، يقول:(٣٠)

تحملت ما كانت مزينة تشتكي من الظلم في الاحلاف حمل التغمد

ارى كثرة المعروف يورث اهله وسود عصر السوء غير المسود

فما المال والاخلاق الا معارة فما اسطعت من معروفها فتزود

متى تقد بالباطل الحق يأبــه وإن قدت بالحق الرواسي تنقد
متى ما اتيت الامر من غير بابه ضللت وإن تدخل من الباب تهتد

وهذا صوت أخر ينطلق من الصحراء ليعلن أن قومه يمنعون الناس من الغواية ويرشدونهم إلى سبيل الخير والصلاح، كما يمنع اللجام الفرس من الجماح مشيراً إلى قضية النسيء في الجاهلية، إذ إن العرب في جاهليتهم كانوا يؤجلون الاشهر الحرم اذا حلت وهم بحالة احتراب، إذ يغير المعنى بنسيء شهور الحل فيجعلها شهوراً حرماً، وتلك من الاخلاق والقيم الاسلامية التي جاء بها الاسلام يقول عمير بن قيس الكناني المعروف بابن جذل الطعان:(٣١)

لقد علمت معد أن قومي كرام الناس ان لهم كراماً
ونحن الناسئون على معد شهور الحل نجعلها حراماً
وأي الناس فاتونا بوتر وأي الناس لم نعلك لجاماً

ويجد الافوة الاودي في تسلم الغواة مقاليد الامور ومقاداة الناس ابتعاد عن الرشاد وأن ذلك يفسد المجتمع ويهدمه، يقول:(٣٢)

كيف الرشاد إذا ما كنت في نفر لهم عن الرشد اغلال واقياد
اعطوا غواتهم جهلاً مقادتهم فكلهم في حبال الغي منقاد
حان الرحيل إلى قوم وإن بعدوا فيهم صلاح لمرتاد وإرشاد

((أن المعنى الكلي والشمولي الجاهلي هو التعبير عن حالة اللا تكيف مع الحياة،وبالتالي الرغبة في انتفاض التواكب مع الشروط القائمة والانتكاث عن القبول بالمعنى إنه الرفض وتنمية مفهوم النقض))(٣٣)لكل المفاهيم والمواقف التي تتنافى مع الاخلاق والقيم الانسانية النبيلة.فالتفريق بين الحق والباطل والابتعاد عن الغيبة والنميمة والكلام الفاحش وعدم شتم الناس وذمهم وإكرام الجار ورعاية حقه واحترامه والاجتهاد في عدم سماع الكلام السيئ والاعراض عنه هو ما يعده الأنسان منجاة من الخنا وخلاصاً من الاتهام بالظلم وتلك المواقف

تتفق مع المبدأ الاسلامي في الامر بالمعروف وتتعارض مع المواقف السيئة وتتمثل هذه المفاهيم والقيم في شعر الشعراء الفرسان وعند الفرسان من غير الشعراء وشعر الصعاليك الذي يتمثل فيها جانب كبير من النبل (٣٤) ويقول المثقب العبدي في تحقيق هذه المفاهيم والدفاع عنها:(٣٥)

وأعلم أن الذم نقص للفتى ومتى لا يتق الذم يذم
اكرم الجار و ارعى حقه إن عرفان الفتى الحق كرم

ثم يقول:

لا تراني راتعاً في مجلس في لحوم الناس كالسبع الضرم
إن شر الناس من يكشر لي حين يلقاني وإن غبت شتم
وكلام سيئ قد وقرت عنه اذناي وما بي من صمم
فتغربت خشاة أن يرى جاهل أني كما كان زعم
ولبعض الصفح والاعراض عن ذي الخنا ابقى وإن كان ظلم

ويقول المتلمس الصنبعي واصفاً من يبغي على الناس ويسعى في ظلمهم يكبه الله على وجهه ويديه كناية عن الخزي والابعاد:(٣٦)

ومن يبغ أو يسع على الناس ظالماً يقع غير شك لليدين وللفم

اما زهير بن أبي سلمى فيدعو الى المودة وربط اواصر الرحم، وهي المبادئ التي التزم بها الدين الاسلامي، ودعا إلى التمسك بها، كونها مطلب أنساني يدعم كيان الاسرة:(٣٧)

خذوا حظكم يا آل عكرم وأذكروا اواصرنا والرحم بالغيب تذكر (٣٨)

فهي دعوة إلى تذكر القرابات وأواصرها التي تدعو إلى احترامها وعدم الجور او التجـاوز. أن المواقف التي اعلنها الشعراء في رفض الظلم والجور والتعدي والتمسك بمكارم الاخلاق تمثل مواعظ أنسانية عامة نابعة من تجربة عاشها هؤلاء الدعاة وعانوا مرارة جور الانسان على اخيه الانسان،وفيها محاولات جادة ومضنية من اجل الإصلاح(٣٩)

فهو حينما يعلن عن عفته، وعدم أثارة الريبة في نفس جاره المتحالف معه، وعدم ترك النفس على هواها في ظروف الطمع، أنما يعبر عن موعظة أنسانية، يكون القدوة فيها، يقول الحادرة في العفة وكبح جماح النفوس عند الطمع:(٤٠)

أنا نعف فلا نريب حليفنا ونكف شح نفوسنا في المطمع

ويقول عنترة الشاعر الفارس الشهير في حديثه عن العفة في أخذ الغنيمة أو سلب قتيله: (٤١)

يخبرك من شهد الوقيعة انني اغشى الوغى واعف عند المغنم

إذ يثبت المجتمع الإنساني أن تحقيق سعادة المجتمع واستقراره ورفاهيته تكمن في حسن الخلق والتمسك بالفضائل.

*النهي عن المنكر والفحشاء مطلب أنساني:

وقفنا عند دلالة المنكر إذ ظهر لنا أنها تدل على صفات وأفعال الشر والسوء وتجاهل الحقوق والتهاون في ادائها بنيات مبيتة، وبما أن الشعر في احد طرفيه يصور الأنسان في افعاله المتباينة والمتعددة، فلا بد أن يصوره في حدود كونه نموذجاً لجنسه سلباً أو ايجاباً.(٤٢)

واذا ما عرفنا أن صفات الجمال في الانسان تنصرف إلى السلوك الخير الذي يندرج ضمن صفة الفضيلة، فان صفات القبح في الانسان تنصرف إلى السلوك السيء الذي يسمى الرذيلة، فالغدر والفجور والبخل (٤٣) والكذب والنفاق والتقتير وعدم أداء الحقوق والجور والتعدي كلها تتجلى فيمن يسلك سبيل الرذيلة التي تعد من المنكر، والتي وضعت نصب اعينها الدفاع عن الحق والعدل والانصاف وبذلك يلاحظ أن الشعر استطاع أن يعرض القيم الانسانية النبيلة.ونقيضها على وفق صياغة فنية مؤثرة تستوعب تلك القيم (٤٤)..فنجد اشعار الجاهليين تعج بالدعوة إلى الابتعاد عن المنكرات، والتباغض،والتشتت، والجهل والبغيظ، والفحشاء، والضغينة والتعدي،والغدر، والنميمة، والشر كلها صفات سيئة رفضها الأنسان الجاهلي وقاتل جاهداً من أجل القضاء عليها أو تحييدها وكان يعير من يتصف بهذه الصفات ويتخلق بهذه الاخلاق إذ كانوا في الجاهلية إذا غدر الرجل رفعوا له بسوق عكاظ لواءاً ليعرفه به الناس وينادون بغدرته وجاء في الحديث الشريف:(ان الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال هذه غدرة فلان بن فلان) (٤٥) ما يدل على عظم صفة الغدر واثرها يقول الحادرة:(٤٦)

اسميَّ ويحك هل سمعت بغدرة رفع اللواء لنا بها في مجمع

ويقول زهير بن ابي سلمى المزني (٤٧)

وتوقد ناركم شرراً ويرفـع لكم في كل مجمعة لواء

ويدعو الحارث بن حلزة اليشكري إلى ترك البغي والتعدي وعدم الاغضاء عن الفاحشة والرذيلة لانها ستكون داءً وخيماً:(٤٨)

فاتركوا البغي والتعدي وإما تتعاشوا ففي التعاشي الداء

ويصف عمرو بن كلثوم التغلبي القوم الذين يتصفون بالبغي بانهم بعيدون عن الرشد، وأن ذلك يقربهم من الهلاك: (٤٩)

ما اورث البغي قوماً قبلهم رشداً بل يهلكون به في كل ازمان

ولا يستطيع قيس بن الخطيم أن يكتم تخوفه على قومه من التفرق والفتنة والتباعد والتفرق والتشتت .بسبب التباغي فيما بينهم يقول:(٥٠)

فقلت لها:قومي أخاف عليهم تباغيهم لا يبهكم ما احاذر

ويحدد الاعشى موقفه من البغي والجهل، إذ إن البغي والجهل مكروهان إذا كانا مقصودين، يقول:(٥١)

وكان البغي مكروهـــا وقول الجهل منتحمـــا

ويؤكد أوس بن حجر ابتعاده عن المنكرات بقوله:(٥٢)

اقول:فاما المنكرات فاتقي واما الشذا عني الملم فاشذب

واسى وتذمر الحارث بن وعلة الشيباني من الجور وتجاوز الحرمات،سيما وان هذا الجور والتجاوز يأتي من الاقارب وابناء العمومة، اذ يجد أن الرد بالمثل يعود بالضرر عليه،،ان السطوة وطلب الثأر كأنما يثأر لنفسه من نفسه، يقول:(٥٣)

قومي همو قتلوا اميم أخي فاذا رميت يصيبني سهمي

فلئن عفوت لاعفون جللاً ولئن سطوت لاوهنن عظمي

ويتجسد هذا المعنى صريحاً جليلاً في القرآن الكريم عندما يكون خطاباً إلى الناس كافة في عدم التشديد في الطلب، والأمهال في الاداء (٥٤)وعدم الجور، وذلك في قوله تعالى:((فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف واداءٌ اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة))(٥٥)ولا نريد في هذا أن نقارن بين مواقف الناس وبين النص القرآني وانما ما نطرحه تأكيداً للخطاب القرآني المستند إلى القيم الاخلاقية النبيلة والمناسب لواقع المجتمع، مع طرحه المعالجات الناجحة لمشكلات المجتمع. .

وهذا شاعر جاهلي آخر يؤكد أن الغدر في الاقوام عار يلحق بالانسان الغادر وسمة تلاحقه في حياته وبعد الممات،يقول أبو حنبل الطائي:(٥٦)

لقد اليت اغدر في جداع وان منيت أمات الرباع

لان الغدر في الاقوام عار وإن المرء يجزأ بالكراع

وسويد بن أبي كاهل اليشكري يفخر بقومه بانهم ليس من اخلاقهم التعجل بالفاحشة، وانهم يصبرون في المصائب ولا يجزعون،وانهم يعرفون الحق ويؤدون الحمالات، وأنهم اصحاب حلم ونجدة، يقول:(٥٧)

من أناس ليس من اخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع

عرف للحق ما نعيا به عند مر الامر ما فينا خرع

ثم يصف من يجاورهم بانه يعيش في مأمن واطمئنان لما يجده عندهم من مودة واحترام يقول سويد:(٥٨)

لا يخاف الغدر من جاورهم ابداً منهم ولا يخشى الطبع (٥٩)

وفي هذا السياق نجد الخطاب القرآني الموجه إلى الطائعين لفرائضه المؤدين لاوامره والمجتنبين لنواهيه

يحمل لهم البشرى في الذكر الحسن في الدنيا والجنة في الآخرة وتلك مكافأة مجزية مغرية، عندما يصف الغزاة المجاهدين والسائحين لاجل نشر كلمة الحق بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحفظون حدود الله،إذ يبشرهم بالحسنى (٦٠)، يقول جل وعلا:((التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين))(٦١).ويأتي قوله تعالى في استهجان واستنكار عمل السوء والمنكر عندما يخاطب قوم لوط على لسان نبيهم عليه السلام، بقطعهم السبيل واقترافهم

المعاصي والقبائح، يقول: ((ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر..))(٦٢).إذ يتحدث عن جملة من المنكرات والقبائح التي كان يقوم بها هؤلاء مثل:الشتم والصفع والقمار والمخارق (المنديل)وحذف الاحجار،وضرب المعزف والمزامير،وكشف العورات،واللواط (٦٣).تلك اخلاق أقوام غضب الله عليهم وأذلهم فأنزل عذابه بهم، في حين نجد اقواماً بعدهم يرفضون تلك الاخلاق ويحاربونها،فهذا

ويدعو عبد قيس بن خفاف إلى الاتئاد والتروي في فعل الشر وإلى التعجل في فعل الخير،وذلك تحقيقاً لمبدأ (خير البر عاجله)يقول:(٦٤)

وإذا هممت بامر شر فاتئد واذا هممت بامر خير فافعل

ويوصي في موضع آخر باختيار اعف الامور واجملها إذا تشابكت وتعددت،وتلك دعوة إلى سلوك سبيل الخير والابتعاد عن المنكر يقول عبد قيس:(٦٥)

واذا تشاجر في فؤادك مرة امران فاعمد للأعف الاجمل

ذلك هو الخطاب الأنساني النابع من المعاناة والتجربة ويأتي الخطاب القرآني النابع من العلم الرباني بمعرفة حقيقة النفس الانسانية ،لتحقيق المطلب الانساني المتذمر من تصرفات الانسان تجاه اخيه الانسان قولاً وعملاً، إذ يدعو الله الانسان الى الاعمال الجامعة للخير المانعة للشر والمنكر، يقول جل وعلا: ((أتلُ ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون))(٦٦)وتأتي وصية لقمان، وتوجيهه لابنه في ذات السياق، يقول الجليل الاعظم:((يا بني اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك إن ذلك من عزم الامور))(٦٧)مما يدل على إن فعل الصلاة لطف للمكلف في ترك القبيح والمعاصي التي ينكرها العقل والشرع،فتكون الصلاة صارفة بالقول والفعل عن الباطل لان فيها (التكبير، والتسبيح، والتهليل والقراءة والوقوف بين يدي الله تعالى . وأن المنكر ـ قولاً وفعلاً ـ يشير إلى كل معصية وقبيح (٦٨)مما يرفضه العقل الانساني السوي.

وعلى الرغم من كل سلبيات المجتمع الجاهلي، وما يعانيه من تخبط وشرك، الاّ أن بعض الناس فيه كان رافضاً للظلم والبغي والعدوان، وجاء ذلك على السنة فرسانهم وأبطالهم،فهذا قيس بن زهير ـ سيد بني عبس وقائدهم في حروب داحس الغبراء المشؤومة ـ يرثي حمل بن بدر الفزاري الذبياني ـ وهو فارس معروف في قبيلة الخصم ـ بعد مقتله، فتهزه العاطفة الأنسانية التي تدعوه إلى البكاء، لو لا ظلم وبغي وعدوان المرثي، كما تشير إلى ذلك الابيات الشعرية . يقول قيس بن زهير:(٦٩)

ولولا بغيه ما زلت أبكي عليه الدهر ما طلع النجوم

ولكن الفتى حمل بن بدر بغى والبغي مرتعه وخيم

ويأتي الخطاب القرأني مدعماً لتطلع الأنسان إلى مغادرة أخيه الانسان للفحشاء والمنكر والبغي وذلك باسلوب النهي القاطع القائم على الموعظة والتذكير بمآسي هذه الاخلاق والتصرفات وويلاتها، بعد أن يأمر بالعدل، يقول تعالى:((إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعكم تذكرون)) (٧٠) على إن الفحشاء ما يفعله الانسان في نفسه من قبيح مما لا يظهره، وأن المنكر، هو ما يفعله الانسان في نفسه من قبيح يظهره للناس، وأن البغي، هو ما يتطاول به من الظلم على نفسه وعلى غيره، وقد يكون كل من الفحشاء والمنكر والبغي، هي الزنا وما ينكره الشرع،والظلم،والكبر.(٧١)

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خطاب قرآني متفاعل مع الروح والواقع:

إن المعجزة الربانية العظيمة المتحققة من خلال نزول القرآن الكريم في تفاعله الروحي والنفسي والاجتماعي الكامل مع المجتمع العربي الجاهلي،تحقيقاً للهداية، من خلال لغتهم التي خاطبهم بها (٧٢)إذ كان مجيء القرآن الكريم ((ليرتقي بالانسان من الحضيض الذي هوى اليه، ويحرره من أسر الوثنية ومهانتها، ومختلف العبوديات المزيفة التي مني بها ويركز بدلاً منها فكرة العبودية المخلصة لله وحده لا شريك له، ويعيد للانسان ايمانه بكرامته وربه))(٧٣)ويخلصه من النزوات الشريرة،والشهوات الداخلية التي تختلج في نفسه، واطلق عليها الجهاد الاكبر.ر(٧٤) ولذلك عد احد أركان العبادات. (٧٥)بل هما (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) من اسمى الواجبات الدينية واشرفها التي تقوم عليها الفرائض، وتؤمن المذاهب وتحرس اركان الاسلام، وترد المظالم إلى أهلها، وتعمر الارض وتصون المجتمع من الانحراف،وتنتصف من الاعداء، ويستقيم بهما الامر، فهما سبيل الانبياء والاولياء ومنهاج الصالحين، واصحاب الخلق القويم (٧٦)استناداً إلى النصوص الاتية:

١)قال تعالى ((كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله))(٧٧).

٢)قال تعالى:((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون))(٧٨)

ووردت في القرآن الكريم نصوص تذم الامرين بالمنكر والتاركين للامر بالمعروف،منها:

١)قال تعالى:((لعُن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر، فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)).(٧٩)إذ إن اللعن جاء بسبب كفرهم وعصيانهم واعتدائهم على حقوق الناس،فهم لا يتناهون عن فعل المنكر والسوء.

٢)قال تعالى:((وترى كثيراً منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون .لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون))(٨٠).إذ نجد أن الآيتين الكريمتين قد تحدثتا عن المنكر المتمثل بالظلم، وهو بمعنى الكذب والشرك، وكذلك اشارت إلى لظلم المتمثل بالعدوان (٨١)، وبعد أن يتعرض النص القرآني المبارك بالذم للذين يأكلون السحت، يتوجه إلى قادة المجتمع من الربانيين والاحبار باسلوب التحضيض باستخدام الاداة (لولا)(٨٢)ليحثهم على توجيه العامة من الناس لانها من مسؤولياتهم الاخلاقية والاجتماعية . ونهيهم عن عمل المنكر.

كما ورد في أحاديث الرسول الاكرم (صلى الله عليه وأله وسلم)واحاديث أهل البيت عليهم السلام مايذم المنكر والامرين به والتاركين للامر بالمعروف، نذكر منها:

١)روي عن النبي (ﷺ)أنه قال: ((لا تزال أمتي بخير ما امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر والتقوى، فاذا لم يفعلوا ذلك نزعت عنهم البركات وسلط بعضهم على بعض،ولم يكن لهم ناصر في الارض ولا في السماء))(٨٣).

٢)وقال رسول الله (ﷺ):(وإذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر، ولم يتبعوا الاخيار من أهل بيتي سلط الله عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم))(٨٤).

٣)وجاء في كتاب الامام علي (عليه السلام) إلى الحارث الهمداني في مكارم الاخلاق: ((... وأعلم أن افضل المؤمنين أفضلهم تقدمة من نفسه، وأهله، وماله فانك ما تقدم من خير يبق لك ذخره، وما تؤخر يكن لغيرك خيره، واحذر صحابة من يفيل(٨٥)وينكر عمله فان الصاحب معتبر بصاحبه..))(٨٦)

٤)وجاء في كلام لامير المؤمنين (عليه السلام) في وضع المعروف في غير اهله: ((وليس لواضع المعروف في غير حقه وعند غير أهله من الحظ فيما أتى الا محمدة اللئام، وثناء الاشرار، ومقالة الجهال،وما دام منعما عليهم . ما اجود يده وهو عن ذات الله بخيل!فمن اتاه الله مالاً فليصل به القرابة، وليحسن منه الضيافة وليفك به الاسير والعاني، وليعط منه الفقير والغارم، وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء الثواب، فأن فوزاً بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة إن شاء الله)).(٨٧)إذ بين الامام عليه السلام أن على عامل المعروف أن يضعه في موضعه الصحيح، على أن عمل المعروف لم يكن مجدياً ومفيداً مع اللئام والاشرار والجهال والبخلاء. ويدعو - عليه السلام -، صلة القرابة في المعروف، عملاً بقوله تعالى:((الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين)).(٨٨)وحسن الضيافة، وتسخير المال من أجل فك رقبة الاسير الذليل، وأعانة الفقير المحتاج والغارم الذي يرزح تحت ثقل الدين، وعليه أن يروض نفسه على إعطاء الحقوق وتحمل النوائب ابتغاء وجه الله وثوابه، وتلك الخصال من اشرف مكارم الدنيا، ومن ايسر الطرق لادراك الجنة وفضائل الاخرة.

٥)وعن الامام السجاد عليه السلام قال: ((كتب رجل إلى الحسين بن علي عليه السلام: يا سيدي أخبرني بخير الدنيا والآخرة، فكتب اليه:((بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، اما بعد فانه من طلب رضا الله بسخط الناس كفاه لله أمور الناس، ومن طلب رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس والسلام)).(٨٩) إذ إن من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر طلب رضا الله ومجانبة رضا الناس، لأن عمل الخير هو رضا الله سبحانه وتعالى دائماً وابداً. وذلك يعني أن صدق أيمان الانسان وأخلاصه لربه يقوده حتماً الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٦)قال النبي ﷺ: ((كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم، ولم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر؟ فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ فقال:نعم وشر من ذلك،فكيف بكم إذا امرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟فقيل: يا رسول الله، ويكون ذلك ؟فقال نعم وشر من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً)). (٩٠) إذ إن المعروف يقود إلى الخير ويبعد عن الفساد ويؤدي بالرشاد ويبعد عن الشر، لذا لا بد أن يكون المعروف مستمرئاً عند فاعليه ومتلقيه، ولا بد أن يكون له وقع حسن في نفوس الناس.

الخطاب القرآني في التمسك بمكارم الاخلاق:

جاء الخطاب القرأني آمراً الناس بالمعروف وناهياً عن المنكر لانها أساس قوام المجتمع والسبيل الوحيد لصلاحه، وقبل الخوض في أسلوب الخطاب القرآني لا بد لي أن اشير إلى إن لفظة المعروف هي أو احدى اشتقاقاتها بلغت ابتداءً من لفظة (عُرْف)(٣٩)مرة في القرآن الكريم (٩١) .

وكانت لفظة المعروف في القرآن الكريم تصب في معاني الدعوة إلى الخير، قولاً وعملاً،وأداء حقوق الفرد واحترامها سواء أكان الفرد رجلاً أم امرأة، ويدخل معنى المعروف ايضاً في طاعة الله والابتعاد عن معصيته، والاقرار بنبوة محمد (صلى الله عليه واله وسلم)وعدم الاضرار والاساءة، والانبساط في التعامل، ومكارم الاخلاق، وصلة الارحام،فهو يصب في كل الافعال الحسنة التي أمر الله بها وحث عليها.

اما لفظة المنكر أو احدى اشتقاقاتها فقد وجد البحث ـ وبقدر تعلق الامر باهدافه وغاياته انها تكررت (١٨مرة)(٩٢)في القرآن الكريم، وانصبت دلالتها على فعل الانسان القبيح الذي يظهره للناس، وعلى جملة

من المنكرات والقبائح في مثل الشتم والسخف والصفع والقمار، وحذف الاحجار،وضرب المعازف والمزامير، وكشف العورات واللواط(٩٣) وكذلك تعني المعاصي التي ينكرها العقل، وجاءت ايضاً مترادفة مع الفحشاء والبغي وقول الزور .

أسلوب الخطاب القرأني في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر:

جاء الاسلام إلى البشرية كافة يحمل عقيدة الوحدة والتوحيد وقد طبع معتنقيه بطابع حب الحرية والاستقلال والايثار (٩٤)وحب الطيبات وترك الشهوات والابتعاد عن الفحشاء والمنكر والبغي، في احسن اداء، وفي ارقى صور البلاغة وجلال اللفظ الذي خلب العقول وهز الابدان،وفتح الافئدة لتهفو اليه لتسمع جلال لفظه فضلاً عن حسن معناه وسمو مبادئه وقيمة اخلاقه التي حملها إلى الناس كافة.

وقد حاول البحث في صفحاته الاولى أن يثبت أن خيار الجاهلية كانوا كثراً،ولم يتوانوا في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال اشعارهم وخطبهم ومواقفهم.

ويرى البحث أن القرآن الكريم تبنى ذلك وايده واكده ثم حاول تحفيز هذا الوازع الأنساني عند ابناء الجاهلية،فجاء خطابه مباشراً مستخدماً اسلوب الخطاب المعروف في العربية، إذ نجد كاف الخطاب والضمير (انتم)، من ذلك جاء قوله تعالى: ((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون)).(٩٥) فجاء أسلوب الطلب القائم على اللام الدالة على الامر (٩٦)المقترنة بالمضارع (تكن)،التي دلت على الاستمرار في الزمن وقام الخطاب القرآني على اسلوب اللين في مخاطبة الناس مبتعداً عن الغلظة و التهديد والوعيد لئلا يزيد اصحاب

المنكر انكاراً وتمادياً فجعل يخاطبهم بقوله من دعا إلى الخير،وامر بالمعروف ونهى عن المنكر كان مفلحاً في الدنيا والاخرة، إذ خصهم بالفلاح.

وذكر الزمخشري في الكشاف عن الامام ((علي عليه السلام:افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له.))(٩٧)

ثم خاطب الجليل العظيم العرب بقوله:((كنتم خير أمه اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون))(٩٨)

إذ نجد أن الجليل العظيم استخدم صيغة الماضي المستند الى ضمير المخاطب (كنتم انتم) في مفتتح الاية المباركة، إذ فسرها الزمخشري بقوله: ((كأنه قيل وجدتم خير أمة،وقيل كنتم في علم الله خير أمة، وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة موصوفين به ..))(٩٩)

ومن ذلك نرى أن هذه الصيغة ارادها الله جل وعلا لتكون وسيلة من وسائل التشجيع والتحفيز على التمسك بعمل المعروف .ثم قرن الاسلوب القرآني العظيم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالايمان بالله،على أن يكون الايمان كله ايماناً حقيقياً راسخاً وليس الايمان ببعض الكتاب وترك البعض الاخر.(١٠٠).

ووجد البحث أن الخطاب القرآني قد تدرج من العموميات إلى الخصوصيات،في خطابه الموجه إلى الناس عموماً وإلى المؤمنين خصوصاً، وهذا هو ديدن الاسلوب القرآني في التدرج المنطقي والواقعي والانساني، إذ خاطب الامة ((ولتكن منكم أمة))((وكنتم خير أمة))ثم توجه إلى أهل الكتاب مخاطباً الامة القائمة الذين ((يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين))(١٠١)وعنى بهم أهل الكتاب الذين اسلموا وكانوا يتهجدون في تلاوة القرآن الكريم في ساعات الليل كما ذكر الزمخشري (١٠٢)وقال عنهم الشيخ الطبرسي؛ هم الذين اقروا بنبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)ونهوا اصحابهم عن انكار النبوة.(١٠٣)ويتدرج الخطاب القرآني في تحديد دلالة المعروف وصلته، ودلالة المنكر وفاعليه، إذ يشير المعنى إلى أن المعروف يعني مكارم الاخلاق وصلة الارحام، والاعتراف بالحقوق وإن المنكر: هو قطع الارحام وعبادة الاصنام (١٠٤)، متحدثاً بصيغة الغائب وليس بصيغة المخاطب، لان المقام يستدعي الحديث العام الشامل عن مكارم الاخلاق،وانه جل وعلا يحدد رحمته بالمؤمنين والعاملين عليها، يقول:((..ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينههم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم..))(١٠٥)

ثم يتصاعد أسلوب الخطاب القرآني في الترغيب وعرض المحفزات ـ إن صح التعبير ـ للتمسك بالمعروف وعمل الخير، والابتعاد عن المنكر وتجنبه، وذلك عندما يجعل الله جل وعلا المعروف هو الافعال الحسنة، وكل ما اوجب على الانسان فعله، أو رغب فيه عقلاً وفعلاً ويحذر من فعل المنكر،كونه يعني الشرك والمعاصي ؟، أو هو كل ما نهى الله عن فعله،وزهد فيه عقلاً أو شرعاً .(١٠٦)

ففي قوله تعالى:((المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون)).(١٠٧)يقدم المنكر على المعروف،لان الحديث عن المنافقين والمنافقات كونهم من صنف واحد فهم يأمرون بالمنكر ويعملونه، ويقبضون أيديهم عن فعل الخير، إذ يؤكد الله جل وعلا في خطابه بانهم كاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير (١٠٨) ثم إنه جعلهم (المنافقين والمنافقات)من صنف واحد قرناء لبعضهم ولم يكونوا من المؤمنين فقال (بعضهم من بعض) في

حين جعل المؤمنين (بعضهم اولياء بعض)في مقابلة ذلك، ثم جعل السين في قوله (سيرحمهم) لتفيد في الاخبار أن رحمته ستكون موجودة لا محالة وستأتيهم بلا تريث (١٠٩) ذلك بان الله عزيز حكيم،قال تعالى: ((المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)).(١١٠)وسنضع الجدول الأتي لنستجلي من خلاله صورة المنافقين والمنافقات (اصحاب المنكر)وصورة المؤمنين والمؤمنات (اصحاب المعروف)وكما ورد في الآيتين الكريمتين:

أصحاب المعروف (المؤمنون)	أصحاب المنكر (المنافقون)
١-يعضهم اولياء بعض ٢-يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ٣-يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ٤-يطيعون الله ورسوله ٥-كتب الله على نفسه الرحمة لهم لا محالة ٦-إن الله عزيز في منحهم الخيرات وجزائهم الحسنى	١-بعضهم من بعض ٢-يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ٣-يقبضون ايديهم عن ذكر الله واداء فرائضه ٤-نسوا الله ٥-نسيهم الله ٦-وصمهم بالفسوق وهو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير.

ولو أنعمنا النظر في قوله تعالى (بعضهم من بعض)و(بعضهم اولياء بعض) لوجدنا أن سمة المنافقين هي انهم بعضهم جزء من بعض (١١١)وإن هذه السمة اصطبغتهم جميعاً على طريقة القول القائل الطيور على أشكالها تقع،ومن الجدير بالاشارة ايضاً أن لفظة الفسوق لم ترد في كلام العرب واشعارهم في الجاهلية، كما اشار إلى ذلك ابو بكر الرازي في مختاره(١١٢)أما في سمة المؤمنين وهي الولاء من المولى وهو ابن العم والناصر والجار والحليف .والموالاة ضد المعاداة (١١٣) منهم كالجسد الواحد والبنيان الواحد يشد بعضهم بعضاً فهم متوحدون في الحق.

المعروف و الاسرة في الخطاب القرآني:

ويتواصل تدرج الخطاب القرآني في عمل الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ يتناول في جانب من جوانبه حياة الاسرة الاسلامية،وفي ادق شؤونها واخصها لكي يبني الاسرة بناءً متيناً متماسكاً، ويحافظ على نسيجها الاجتماعي والاخلاقي والانساني وذلك عندما يرسم الصيغة الصحيحة للعشرة بين الزوج وزوجته،إذ يأمر الرجل بالانبساط في التعامل وعدم الاضرار والاساءة للمرأة (١١٤)قال تعالى في اسلوب الطلب، وهو من الامر الحقيقي الواجب التنفيذ: ((وعاشروهن بالمعروف، وان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً)).(١١٥)وهو بذلك يزرع الامل في السريرة الأنسانية المتطلعة إلى الخير ذلك في قوله ((ويجعل الله فيه خيراً كثيراً))وبعد أن يوجه بوجوب حسن العشرة وحسن التعامل مع المرآة، يتجه إلى تنظيم حقوق الاسرة، ولا سيما حقوق المرأة في حالات عقد الزواج أو الطلاق، وتنظيم التعامل مع القائمين على رعاية حقوق المطلقة والمرضعة، إذ يوجه بعدم المماطلة والاضرار في دفع الحقوق(١١٦) يقول عزّ قوله: ((فانكحوهن بإذن أهلهن واتوهن اجورهن بالمعروف)).(١١٧) اما اليتيم فهو جزء من الاسرة وفرد من المجتمع أمر الله سبحانه وتعالى بوجوب رعايته والحفاظ على حقوقه عند القيام عليها حتى يصبح قادراً على إدارتها، ولذلك امر القائمين بالمحافظة عليها وعدم تبديدها أو تبذيرها أو الهيمنة عليهت وسمح لهم الاخذ منها على سبيل القرض لمن كان فقيراً أو محتاجاً،يقول تعالى: ((وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغواالنكاح فأن انستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف..))(١١٨)وفي سياق الخطاب القرآني الذي يتوجه إلى ضرورة احترام النسيج الاجتماعي والإنساني عندما يخاطب الناس في أمر المنافقين، إذ لا خير في كثير من الاحاديث والتناجي بين الناس الا الاحاديث التي تأمر بالمعروف والبر وإغاثة الملهوف (١١٩) قال تعالى: ((لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجراً عظيماً))(١٢٠)ويرد توجيه الخطاب القرآني في السياق ذاته عندما يكون الحديث في الامور المهمة والحاسمة في حاضر الامة ومستقبلها، إذ تكون الطاعة والقول الامثل والأليق خير من الجزع (١٢١)

وذلك عندما يخاطب المترددين والذين لم يكونوا ثابتي الاقدام في ايمانهم،(١٢٢) إذ يدعوهم إلى الطاعة وقول المعروف فهو خيرٌ لهم، يقول: ((طاعةٌ وقولٌ معروفٌ فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم))(١٢٣)وخاطب القرآن الكريم الابناء على لسان لقمان وهو يعظ ابنه ويرشده إلى وجوب إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ يفسر الشيخ الطبرسي المعروف بالطاعة والمنكر بالمعصية وعمل القبيح (١٢٤)والصبر على المكاره والشدائد،يقول الباري العزيز:((يا بني اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك أن ذلك من عزم الامور))(١٢٥).

بعد هذه الرحلة التي عرضنا فيها موضوع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر،وحاولنا فيها التأصيل لهذا المبدأ لدى الانسان الجاهلي مستطلعين مواقفه واراءه،من خلال اشعاره واقواله وافعاله إذ ظهر لنا فيها أن المجتمع الجاهلي لايخلو من أنسان ينشدون الخير ويدافعون عن الحق، ويبتعدون ويدعون بالابتعاد عن الشر والقبائح والسيئات وان هذا الانموذج هو إنسان واضح لا يغدر ولا يحب الغادرين، وينشد الذكر الحسن في الافعال الحسنة التي يحب أن يفعلها أو يقدمها إلى اخيه الأنسان على الرغم من وجود بعض الظواهر السلبية التي ذكرت عن هذا العصر، وهي تلك المرحلة السابقة لظهور الاسلام بما يزيد على ١٥٠عاماً .

أما بظهور نور الإسلام الذي شع على ارجاء جزيرة العرب وبدأ منها الى اصقاع المعمورة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً،فانه حمل دستوراً واضحاً وافياً في تنظيم علاقة الفرد مع اخيه الفرد وعلاقة المخلوق بالخالق، وهو بذلك حرر الإنسان من رق العبودية واذلالها، ودعاه إلى وجوب توحيد الله والتوجه اليه مع خلوص النية في العبادة لله وحده ولا يستطيع أن يصل الى ذلك الا بتطهير نفسه من السيئات والشرور، ولا يتم ذلك التطهير الا من خلال مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كونه ركن من اركان العبادات، على أن المعروف وكما فسره المفسرون هو اسم جامع لكل افعال الخير وما يقره العقل والقلب لمعرفته له، اما المنكر فهو اسم جامع لكل السيئات والقبائح والشرور .

الهوامش:

(١)ينظر القانون الدستوري والنظام الدستوري في العراق: د نوري لطيف:٤٦

(٢)ينظر: العمدة: لابن رشيق:١، ٣٠.

(٣)المرسلات: ١

(٤)ينظر: لسان العرب: مادة (عرف)

(٥)لقمان: ١٥

(٦)البقرة: من الاية ١٧٨

(٧)ينظر: اللسان: مادة (عرف)

(٨)ينظر المصدر نفس مادة (عرف)

(٩)ينظر:اللسان: مادة (نكر)

(١٠)ينظر المصدر نفسه

(١١) ديوانه: ١٠٥

(١٢)الكهف: من الاية ٧٤

(١٣)المفضليات: ٤٨٦وقد تحرك بالنظم على وزن (عسر)بضم فاء الفعل وعينه

(١٤)المفضليات:١٠٢

(١٥)الحج:٤٤

(١٦)ينظر: اللسان:نكر

(١٧)ينظر:الاسلام والفن:د محموح السقاني:٣١

(١٨)الشعر بين الواقع والابداع:صبيح ناجي القصاب:٩

(١٩)ينظر: فن الشعر:هيغل:ترجمة جورج طرابيشي: ٢٣٢

(٢٠)الموشح: المرزباني:٥٦

(٢١)ينظر:تاريخ النقد الادبي عند العرب د:احسان عباس:٥٠

(٢٢) ينظر:نظرية النقد العربي وتطورها إلى عصرنا: محيي الدين صحي:١٦

(٢٣)ينظر:في الشعر والنقد:منيف موسى:٤٨

(٢٤)ديوانه:١٠٨

(٢٥)وكليب هو:كليب بن عهمة السلمي ثم الظفري،إذا المامات حرب بن امية، وخنقت الجن مرداس، وكانوا شركاء في القرية جحرهم كليب حفظهم فيها (ينظر الخبر في الاناني ٥، ٤٣)

(٢٦)الاغاني: ٢٤/ ٥٩

(٢٧)ديوانه:٦٩

(٢٨)شرح الاشعاء للبطليوس: ٢ق١/٢١

(٢٩)البقرة:من الاية: ٢٦٣

(٣٠)ينظر: مجمع البيان:٦٢٨/٢وينظر ايضاً:الكشاف:الزفخشري ٣٩٤/١

(٣١)ديوانه:١٣٠

(٣٢)سمط اللآلي:١١/١

(٣٣)شعره: ١٠

(٣٤)مقالات في الشعر الجاهلي:يوسف اليوسف:٣٢٦

(٣٥)ينظر المصدر نفسه والصفة

(٣٦)شعره:٤٦. ٤٧

(٣٧)ديوان شعره:٣٢٣

(٣٨)شرح الاشعار الستة البطليوس: ٢ق١/١٨٤

(٣٩) آل عكرم: من ولد قيس بن عيلان بن مضر، والشاعر من مزينة من ولد أد ببن طانجة بن الياس بن مضر، وتلك هي واواصر القرابات التي يناشدهم بها.

(٤٠)ينظر:الحياة والموت في الشعر الجاهلي:د. مصطفى عبد اللطيف جياووك:٢٤٧.

(٤١)المفضليات:٥٦

(٤٢)ديوانه:١٦

(٤٣)ينظر:مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي:د.جابر عصفور:١٣٦

(٤٤)ينظر المصدر نفيه:١٤٦

(٤٥)ينظر المصدر نفسه:١٦٠

(٤٦)يراجع:صحيح البخاري: مج٣/ج٨/٥١ باب (ما يدعى الناس بابائهم)وينظر ايضاً المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي: (مادة غدر)٤/٤٦٠

(٤٧)المفضليات :٥٦

(٤٨)الاشعار الستة:البطليوسي:٥٢

(٤٩)ديوانه:١٣

(٥٠)ديوانه (نشر كرينكو):١٧

(٥١)ديوانه:٢٠٨

(٥٢)ديوانه:١٧٦

(٥٣)ديوانه:٠٧

(٥٤)المفضليات:١٠٥

(٥٥)مجمع البيان:٢/ ٤٧٩

(٥٦)البقرة: من الاية ١٧٨

(٥٧)المفضليات:٢٤٤

(٥٨)المصدر نفسه:٣٩٢

(٥٩)المصدر نفسه:٣٩٣

(٦٠)الطبع:السجية التي جبل عليها الانسان، والمعنى عدم تحول لسجية وصدئها . ينظر اللسان مادة(طبع)

(٦١)ينظر: مجمع البيان: ٥/١١٤.

(٦٢)التوبة:١١٢

(٦٣)العنكبوت: من الاية ٢٩

(٦٤)ينظر :مجمع البيان:٨/٤٤١

(٦٥)المفضليات:٦١١

(٦٦) المصدر نفسه:٧٥١

(٦٧)المصدر نفسه:٧٥٢

(٦٨)العنكبوت:٤٥

(٦٩)لقمان:١٧

(٧٠)ينظر مجمع البيان:٨/٥٠٠،٤٤٨

(٧١)المفضليات:٦٩٤

(٧٢)النحل:٩٠

(٧٣)ينظر :مجمع البيان:٦/٥٨٧

(٧٤)ينظر :علوم القرآن:أية الله محمد باقر الحكيم: ٣٨

(٧٥)المصدر نفسه:٧٣

(٧٦)ينظر المصدر نفسه:٧٩

(٧٧)ينظر :دروس تحرير الوسيلة (العبادات):٤٧٩

(٧٨)ينظر :دروس في الفقه الاسلامي:١٦٩

(٧٩)آل عمران:١١٠

(٨٠)آل عمران: ١٠٤

(٨١)المائدة: ٧٩.٧٨

(٨٢)المائدة:٦٢. ٦٣

(٨٣)ينظر :الكشاف:الزفخشري:١/٦٢٦

(٨٤)ينظر :شرح أبن عقيل:٢/٣٦١

(٨٥) زاد العباد ليوم المعاد:الشيخ طعمة سعيد:٢:٤١نقلاً عن الرسائل للحر العاملي

(٨٦)يفيل: يضعف

(٨٧) زاد العباد ليوم المعاد:الشيخ طعمة سعيد:٢:٤١نقلاً عن الرسائل للحر العاملي

(٨٨)شرح نهج البلاغة:محمد عبده:٣/١٣٠

(٨٩)المصدر نفسه:٢/٢٤

(٩٠)البقرة: من الآية:١٨

(٩١)زاد العباد ليوم المعاد:٢/٤٢نقلاً عن لآلي الاخبار:٥/٢٦١

(٩٢)المصدر نفسه:٤٠/٢نقلاً عن الوسائل:٣٩٦/١١. ٣٩٧

(٩٣)يراجع:المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد البقي:٦٠٥.٦٠٦

(٩٤)يراجع المصدر نفسه:٨٦٩.٨٧٠

(٩٥)ينظر: مجمع البيان: ٤٤١/٨

(٩٦)ينظر:مجلة رسالة الاسلام: السنة الاولى /٤٤/١٣٦٨هـ/٤١٩:١٩٤٩

(٩٧)آل عمان:١٠٤

(٩٨)ينظر:شرح ابن عقيل:٢٣٥/٢

(٩٩)الكشاف:٤٥٢/١

(١٠٠)آل عمران:١١٠

(١٠١)الكشاف: ٤٤/١.

(١٠٢)ينظر:المصدر نفسه والصفحة

(١٠٣)آل عمران:١١٤

(١٠٤)ينظر الكشاف:٤٥٦/١

(١٠٥)ينظر:مجمع البيان:٨١٦/٢

(١٠٦)ينظر: المصدر نفسه: ٧٠٥/٤

(١٠٧)الاعراف: من الاية ١٥٦ و ١٥٧

(١٠٨)ينظر:مجمع البيان ٧٤/٥، ٧٦

(١٠٩)التوبة:٦٧

(١١٠)ينظر:الكشاف:٢٠٠/٢

(١١١)ينظر:المصدر نفسه:٢٠٢

(١١٢)التوبة:٧١

(١١٣)ينظر:شرح ابن عقيل:١٧/٢في معاني)من)

(١١٤)ينظر مختار الصحاح مادلة ولي

(١١٥)ينظر: اللسان

(١١٦)ينظر: مجمع البيان:٤/٣

(١١٧)النساء: من الاية ١٩

(١١٨)ينظر: مجمع البيان:٥٥/٣

(١١٩)النساء: من الآية:٢٥

(١٢٠)النساء:من الاية ٦

(١٢١)ينظر: مجمع البيان:١٦٨/٣والكشاف:٥٦٣/١

(١٢٢)النساء:١١٤

(١٢٣)ينظر:مجمع البيان:١٥٧/٩

(١٢٤)ينظر:مجمع البيان:٥٠٠/٨:وينظر أيضا- محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) محمد رضا:٢١

(١٢٥) لقمان: ١٧

مصادر البحث:

*القرآن الكريم

*الاسلام والفن د. محمود البستاني، نشر مجمع البحوث الاسلامية،بيروت الطبعة الاولى،١٤١٣هـ/١٩٩٢م

*الاغاني:ابو الفرج الاصفهاني،شرحه وكتب هوامشه الاستاذ سمير جابر،طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى،١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

*تاريخ النقد الادبي عند العرب:د احسان عباس،نشر وطبع دار المعارف، مصر القاهرة.

*الحياة والموت في الشعر الجاهلي:د مصطفى عبد اللطيف جياووك،نشر وزارة الاعلام . العراق،سلسلة دراسات (١٢٣)طبع دار الحرية للطباعة بغداد .١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

*دروس في الفقة الاسلامي:نشر جمعية المعارف الاسلامية الثقافية، سلسلة العلوم والمعارف الإسلامية (٧)د.ت.

*دروس من تحرير الوسيلة (العبادات)نشر وطبع مؤسسة المعارف الاسلامية الثقافية،سلسلة العلوم والمعارف (١٦)د.ت.

*ديوان الاعشى ميمون بن قيس،شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين طبع دار الكتب العلمية ط١/بيروت،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

*ديوان اوس بن حجر:تحقيق محم يوسف نجم،نشر وطبع دار صادر،ودار بيروت،بيروت،١٣٨٠هـ/١٩٦٩م

*ديوان الحارث بن حلزة:اعاد تحقيقه هاشم الطعان،طبع مطبعة الارشاد،بغداد، ١٣٨٩هـ/١٩٧٩م

*ديوان ذي الاصبع العدواني .جمع وتحقيق عبد الوهاب العدواني ومحمد نائف الدليمي،نشر وطبع مطبعة الجمهور الموصل ١٣٩٣هـ/١٩٧٣.

*ديوان شعر عمرو بن كلثوم التغلبي ما خلا معلقته، نشر كرينكو،طبع المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٢٢م.

*ديوان شعر المتلمس الضبعي؛ برواية الاثرم وابي عبيدة عن الاصمعي.

*ديوان العباس بن مرداس ؛جمع وتحقيق د.يحيى الجبوري نشر وزارة الثقافة /مديرية الثقافة العامة، طبع دار الجمهورية، بغداد ١٣٨٨هـ/١٩٨٦م.

*ديوان عنترة بن شداد ؛تحقيق فوزي عطوي، نشر الشركة اللبنانية للكتاب للطباعة والنشر، بيروت،ط١/١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

*ديوان قيس بن الخطيب ؛تحقيق د. ناصر الدين الاسد،نشر دار صادر،و دار بيروت ط٢، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

*ديوان المفضليات:لابي العباس المفضل بن محمد الضبدي، شرح الانباري، نشر وتعليق كارلوس يعقوب لايل، طبع مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت /١٩٢٠.

*زاد العباد ليوم المعاد ؛تأليف الحاج الشيخ طعمة سعد، نشر دار الاعتصام للطباعة والنشر ط١،قم /١٤٢٠هـ /١٩٩٩م.

*سمط اللآلئ للوزير ابي عبيد البكري الاونبي،تحقيق عبد العزيز الميمني، جامعة عليكرة،الهند،نشر وطبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٤هـ/١٩٥٣م.

*شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، لبنان، طبع المطبعة العصرية ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

*شرح الاشعار الستة الجاهلية للوزير أبي بكر عاصم بن ايوب البطليوسي، تحقيق ناصيف سليمان عواد، طبع ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد /٢٠٠٠م.

*شرح نهج البلاغة ؛ محمد عبدة، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان طبع مطبعة داغر، لبنان د .ت.

*شعر الافوه الاودي ؛ صنعة عبد العزيز الميمني، جامعة عليكرة، الهند، د.ت .

*الشعر بين الواقع والابداع؛صبيح ناجي القصاب، نشر دار الرشيد للطباعة والنشر، بغداد، طبع دار الحرية للطباعة،بغداد، ١٩٧٩م.

*شعر المثقب العبدي ؛تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين،مطبعة المعارف، بغداد ١٣٧٥هـ/١٩٧١م.

*صحيح البخاري؛لابي عبد الله محمد بن اسما عيل بن ابراهيم البخاري، نشر وطبع دار ومطابع الشعب القاهرة،د . ت.

*علوم القرآن؛تأليف آية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم،نشر وطبع مؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الاسلامي، النجف الاشرف، ط١/١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

*فن الشعر؛هيغل،ترجمة جورج طرابيشي،نشر وطبع دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١،بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

*في الشعر والنقد:منيف موسى ؛نشر وطبع دار الفكر اللبناني،بيروت ١٩٨٤م.

*القانون الدستوري والنظام الدستوري في العراق،د. نوري لطيف،نشر وطبع مطبعة علاء، بغداد، ط٢/١٩٧٩م.

*الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه ا لتأويل؛؛لابي القاسم جار الله بن عمر الزمخشري،نشر دار الفكر ،بيروت، د.ت.

*لسان العرب ؛لابن منظور،نشر وطبع دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، د.ت.

*مجلة رسالة الاسلام؛ السنة الأولى، العدد الرابع، تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الاسلامية بالقاهرة،١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

*مجمع البيان في تفسير القرآن؛للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، نتشر دار المعرفة للطباعة والنشر، ط٧،د . ت.

*محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؛تأليف محمد رضا .نشر وطبع دار الكتب العلمية،بيروت /لبنان ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

*مختار الصحاح؛ تأليف محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي .نشر دار الرسالة،الكويت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

*المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي ؛أعداد، أ .ي ونسنك، وي،ب، منسنج بمشاركة محمد فؤاد عبد الباقي،طبع مطبعة بريل في مدينة ليدن /١٩٦٢م.

*المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ؛محمد فؤاد عبد الباقي،نشر مكتبة نويد اسلام، قم المقدسة .ط٢/١٣٨٣هـ /١٩٧٢م.

*مفهوم الشعر؛ دراسة في التراث النقدي ؛د.جبار عصفور،نشر المركز العربي للثقافة العامة،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

مقالات في الشعر الجاهلي ؛يوسف اليوسف،نشر دار الحقائق بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر،ط٣/١٤٠٣هـ/١٩٨٣.

*الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ؛لابي عبيد الله بن عمران المرزباني،وقف على طبعه واستخرج فهارسه محب الدين الخطيب، ط٢،القاهره، ١٣٨٥هـ/١٩٧٥م.

*نظرية النقد العربي وتطورها إلى عصرنا ؛ محيي الدين صبحي ؛نشر وطبع الدار العربية للكتاب،ليبا،تونس،١٤٠٤هـ /١٩٨٤م.